خواطر في اسم الالة

Reflexions sur les noms d'instruments

١ — بسط وعذر

كتب حضرة الاستاذ الكبير صديقنا المغربي مقالة ممتعة في « مجلة المجمع العلمي العربي » وسمها باسم الالة [٧ : ٤٩–٦١] وابدى فيها آراء كلها حقائق وكنا منذ امد بعيد جمعنا مثلها لنبين ان قول النحاة في ان اسم الالة « يبنى من « الفعل الثلاثي المجرد المتعدي » تنقصه تدقيقات عديدة تخالف ما استنتجوه. فكانت نتيجته كنتيجتنا أي انه ذكر من اسماء الالة المتخذة من «الجامد» او «المزيد فيه» او «اللازم» ما لا يمكن ان ينكر.

وتسمية بعضهم لهذه الالات « باشباه اسماء الالات » هو من باب التسلية والتمويه معا، كما اسمى البعض اللديغ سليما، والاعمى بصيرا، والسليم حسنا ونحن الشرقيين كثيرا ما نحب مثل هذه التسليط او التعميات او التغشيات او كل ما تريد ان تسميها او تنعتها. إلّا ان الجاسن لا تنقلب مساوئ كما ان الحقائق لا تصبح اكاذيب او بالعكس مهما تغلفها او وصفناها.

على ان اقرارنا بفضل الاستاذ المغربي وصحة استقرائه لما اورد. لا يحدونا الى قبول « المناة » بمعنى التلسكوب و «المبقأة» بمعنى الصوبا اللفظة التركية وذلك لاسباب:

اولا: لان « المرقب » التي سبق الشيخ ابراهيم اليازجي الى وضعها هي اوفى بالمقصود من المناة لانها مشتقة من رقب الشيء بمعنى رصده، والغاية من وضع التلسكوب هو رصد الكواكب. قال لغويو الفرنسيين: « التلسكوب كلمة منحوتة من حرفين يونانيين وهما: « تلي » اي بعيد و « سكوبين » اي فحص او رصد او رقب. ومحصل معناهما: ما يرصد به البعيد: وهي آلة فلكية تتخذ لرصد النجوم » اه

ونحن نرى في «رقب او رصد» ما يؤدي المعنى المطلوب، فاشتقاق لفظة من هذه المادة تكفينا مؤونة البحث عن غيرها، والشيخ اليازجي لم يتخذ اسم آلة

من رصد إلا لكي لايختلط اسم المرصد [الآلة وهو بكسر الميم] باسم المرصد [المكان وهو بفتح الميم] وهناك امر آخر وهو : اذا سبقنا احد الادباء الى وضع لفظة وادت ما في الخاطر من الامنية او من الوضع ، فلايحسن بنا ان نضع كلمة ثانية وثالثة ورابعة الى مالانهاية له ، فذلك مايؤدي الى الفوضى ؛ دع عنك ان في قولك « المدناة » مخالفة جمهور النحاة او الصرفيين وان لم تخالف مانقله لنا اللغويون من اسماء الآلة ؛ ولهذا ان جمعنا رأي النحاة الى رأي اللغويين كانت الفائدة اجزل والنتيجة احسن واوثق ، وعليه : لو قلنا من باب الفرض كلمة مدناة فلا نقبلها إلا بصورة « مدنية » [وزان محسنة] لاننا بصيغتنا هذه نرضي فريق اللغويين وفريق النحاة . وليس في ذلك ادنى تقييد او تسجيل على اللغة بالقصاعة والقماءة او الكدو او الحجر او مهما اردت ان تسميها؛ وسوف ترى ان تسمية الآلة باسماء متخذة على صيغ اسم الفاعل او من قبيل اسم الفاعل هو اوسع باب يمكننا ان نلجه لنأتي غايتنا (١) .

ومانقوله عن عدم استعمال (المدناة) نقوله في عدم اتخاذ (المدناة) في معنى (المدفئة) واستعمالنا الصيغة الاخيرة افضل من استعمالنا الصيغة الاولى لان في

---

(١) اننا نرى ان المدنية (ولا نقول المدناة) تصح لنا بسميه الافرنج Jumelles وهي قطعتان من خشب او معدن متشابهتان تركب فيهما زجاجات تقرب البعيد وتدنيه من الرائي . وكثيرا ما تستعمل في المسارح وضواحي المدن ومتسع البحر — والمرقب يكون لرصد النجوم اي التلسكوب Télescope والمنظار Longue-vue زجاجات مركبة في انابيب متداخلة لينظر بها البعيد وتكون لعين واحدة ويسمى النظارة ايضا — والمنظرة هي Lunette كما ان المنظرات هي المسماة بالعوينات عند السوريين Lunettes والقربة هي المعروفة عند الافرنج باسم Lorgnette وراكبة الانف هي Lunettes-nez وهي ضرب من المنظار تتثبت على اعلى الانف بنابض — والعينات Binocle هي منظرات بنابض يوقفها على اعلى الانف او تمسك باليد لينظر بها سواء البصرة (وزان مكرمة) هي التي تكون لعين واحدة وتسمى بالفرنسية Monocle او Lorgnon والزجاجة المكبرة او المكبرة (وزان محدثة) هي زجاجة عدسية اشكل محدبة الوجهين تكبر المنظورات وهي بالفرنسية Loupe والمجهر (وزان مبرد ومحسن) هو المكرسكوب Microscope وهكذا نرى العربية واسعة تؤدي معاني مايضعه علماء العصر من آلات البصر . (نقلنا هذه الالفاظ عن معجمنا الفرنسي العربي وهو غير مطبوع)

اتخاذنا الاولى تخالف راي الصرفيين او النحويين وفي اتخاذنا الثانية نجمع بين اراء القبيلين كما تقدم الكلام فوق هذا

٢ — كثرة اوزان اسماء الالات

ذكر الصرفيون من صيغ الالة: مفعل ومفعال ومفعلة (بكسر الميم) وزاد بعضهم عليها فعالا كفراش وذكروا ان هناك ما يخالف هذه الاوزان ضبطا او صيغة ثم قالوا عنها انها « اسماء آلات غير مشتقة » وفي كل ذلك من التكلف ما لا ينكر .

اما الحقيقة فهي ان اسماء الالة تعد من قبيل الفاعل او ما هو بمعنى الفاعل كصيغ المبالغة وصيغ الصفة المشبهة . وافعل بوزن المفاضلة وان لم يكن هناك مفاضلة . اما ورودها على صيغ الفاعل والمبالغة فلأن ما ينسب الى الالة هو على الحقيقة من اثر العامل فيها . فالمكنسة لا تكنس من ذاتها الم بعالجها صاحبها الكنس .

وهكذا القول عن سائر الالات إلّا ان للالة عملا خاصا بها لا تراه في عمل الرجل نفسه . فالمنشار ينشر بيد العامل به . فاذا القى الرجل عنه الالة لا يستطيع ان ينشر بيديه . اذن يحق ان ينسب الى الالة عملا خاصا بها . فاذا كان كذلك كانت هي ايضا عاملة بهذا المعنى ولما كان عمل الالة يتكرر وينسب اليها هذا العمل من باب التوسل والتذرع جاز ان تنسب اليها العمل نفسه وتنسبه اليها . اذن جاز لنا ان نتخذ لها صيغا منزوعة من صيغ المبالغة واسم الفاعل والصفة المشبهة ووزن افعل الذي ليس للتفضيل بل لتحقيق وجود الامر .

اما انه يتخذ لها صيغ من المبالغة واسم الفاعل فمفهوم لوجه الذي ذكرناه . واما انه يتخذ من صيغ الصفة المشبهة فما لا يفهم على ان العاقل اذا تدبر ان معاني صيغ الصفة المشبهة سريعة الزوال لتغيير يطرأ عليها اتضح له وجه التجوز فالحسن مثلا قد يزول حسنه لمرض يقع فيه او لتشويه تشوه به اعضاؤه فيزول عنه الحسن اوقت ولهذا لاق ان تكون تلك الصيغ منزوعة من اوزان الصفة المشبهة اذ قد يطرأ على الالات من العيوب الوقتية ما يطرأ على سائر الصفات .

ومن ثم نرى كثيرا من الالات جاءت على اوزان هي من صيغ اسم الفاعل او المبالغة او الصفة المشبهة .

ونحن نذكر لك هنا امثلة ماخوذة من الصيغ المذكورة من فصيحة ومولدة

فالمولدة تفيدك ان المولدين جروا على اساليب من تقدمهم من فصحاء العرب ولهذا يجوز لنا ان نتأثرهم . والفصيحة تفيدك ان الوضع قديم .

٣ — اسماء الات على اوزان المبالغة والصفة المشبهة واسم الفاعل والفعل

١ — القدوم (وزان صبور) لآلة النجر والنحت . ومثلها الكدوم (للقوس التي ليس فيها شق) .

٢ — الاصم (وزان الاكبر) من اسماء الرمح ، وكذلك الاظمى كما ان من اسمائه المطرد (وهذا كمنبر) وانت تعلم ان الرمح من الآلات .

٣ — الصوان (وزان زاز . وفعال هنا بكسر الاول من صيغ المبالغة . يقال انه لزاز خصومة وماز اي لازم لها موكل بها يقدر عليها) ومثله كتاب وركاب وحزام وامام ولجام الى غيرها .

٤ — القاس (وزان بر وشر وعلب وعدل وهي ان شئت جعلتها من صيغ المبالغة وان شئت اعتبرتها من صيغ الصفة المشبهة) وفي لغتنا آلات عديدة جاءت بفتح الاول واسكان الثاني مثل زاد وسيف وداو وسوط وسرج ورحل وقوس وعجس الى غيرها .

٥ — الرحى (وزان حسن بفتحتين من صيغ الصفة المشبهة) ومثل الرحى الرسن والقدح .

٦ — السكيز (وزان قديس وشرير) ومثله السجين .

٧ — العسال (بمعنى الرمح مثل جبار وحداد) ومثله : المراث والمغراض .

٨ — الخاتم (وزان عامل) ومثله : الطابع والفاتر والقابس والرائل .

٩ — البرادة (وزان علامة) ومثلها : القذافة والحرارة والطحانة والصفارة والرمامة والنشاشة والقداحة والنفاطة والسجادة والقزازة والدوارة والزمارة والزرافة وما ورد على هذا الوزن شيء كثير يكاد لا يحصى لكثرته

١٠ — الوقيعة (كما قالوا رجل فصيحة وفعلة هنا للمبالغة) قال في التاج الوقعة : المطرقة . وهو شاذ لانها آلة والآلة انما تأتي على مفعل . الخ . وقد رأيت ان من اسماء الآلة ما يأتي على مفعل ومفعال ومفعلة بل ربما توافق هذه الاوزان الثلاثة اقل بكثير مما جاء على الاوزان الدالة على الفاعلية ومثل الوقيعة الوشيجة والوشيعة .

١١ ــ القادّة (المنجيق وهي مثل رجل راوية وطاغية) ومثلها : الجامعة وهي الغل .

١٢ ــ الاشفى (وهي بكسر الهمزة وفتح الفاء بمعنى المثقب والسرادي خرز به وهو للاساقي كالمخصف للنعال ، وهو على مثال كيصى . يقال : رجل كيصى اي منفرد بطعامه) .

١٣ ــ المحلتان (بضم الميم وكسر الحاء وفتح اللام المشددة . مثنى المحلة) قال في اللسان: المحلتان: القدر والرحى ، فاذا قلت المحلات : فهي القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفاس والزند ، لان من كانت هذه معه حل حيث شاء، وإلّافلا بد له من ان يجاور الناس يستعير منهم بعض هذه الاشياء اه. ومن ذلك الملعبة : قال في التاج (وفي نسخة الملعبة بالكسر) ثوب يلاكم (وفي نسخة لاكم له) يلعب فيه الصبي . ومثله في لسان العرب اه . اما انه كيف يعتبر الثوب آلة فهو لانه يتخذ اداة لدفع طوارق الحر عن جسم صاحبه ومثل المحلة او الملعبة : المقبلة للفاس وهي ايضا الموسى (المخصص ١١ : ٢٦)

١٤ ــ الحابول (مثل الفاروق) وكذلك الشاغول والطاحون والناقوس.

١٥ ــ اثاث (وزان جبان) ومثله : متاع .

١٦ ــ جهاز (مثل دلاص) ويشبهه رهاط .

ولانريد ان نستقصي جميع اوزان الالات فهي كثيرة ولكل منها مثال يرى في الصيغ التي تدل على الفاعلية كما تقدم الكلام . والنحويون واللغويون لم يشيروا الى هذا الامر مع ان الوارد منها لايحصى . والذي يكاد يكون قياسيا هو ما جاء من هذه الاسماء على وزن فعال او فعالة (بتشديد العين) وما جاء منها على مفعلة (بضم الاول وكسر الثالث) فحينئذ ينقل اللفظ من الوصفية الى الموصوفية وهذا النقل يكاد يرى في كل مادة واسعة من مواد اللغة فهو اذا اقيس جميع ابواب الالة اواوزانها واهذا نختار قول من يقول مدية ومدقة وما ضاهاهما على من يقول مداة ومدأة لان هذا الوزن المتخذ من الاسماء اللازمة مسموعة غير مقيسة بخلاف نقل الوصفية الى الموصوفية فهو اشهر من ان يذكر ولاحاجة الى القول انه آمن طريق من سواه ، وليس ثم من مانع يمنعنا دون اتباعه بل

يوافقنا عليه النحاة واللغويون فضلا عن اننا نوسع الطريق لمن يريد ان يتخذه مهيعا للوصول الى بغيته .

٤ — ورود اسماء الآلات بصيغة المجهول

من المعلوم ان اسماء الآلة لا تتخذ إلّا مما يعالج كما نص عليه جمهور اللغويين والنحاة ، وغني عن البيان ان المعالج لا يكون إلّا معلوما ، اذ من المحال ان يعالج ماهو مجهول . هذا مايتضح لكل عاقل عند ادنى تأمل . ومع هذا كله ترى في لغتنا اسماء آلة مصوغة لما لم يسم فاعله . والظاهر ان هذا الامر غير ممكن ، إلّا اننا اذ انعمنا النظر فيها نجد انها لم تسلك في قالب المجهول إلّا لصفة اتصفت بها الآلة لعارض عرض لها او لحادث وقع فيها . وليس لمعالجة امرها المجهول ، اذ هذا امر غير معقول . ومثل هذه الاسماء كثيرة ايضا في لساننا وعلماء اللغة والنحو والاشتقاق لم ينبهوا عليها كما لم يشر اليها قصدا حضرة صديقنا المحقق الاستاذ المغربي ، بل ولا اعتنافا . ودونك بعض الشواهد :

١ — المثقف : المقوم من الرماح

٢ — المذكر : ما شغرته ذكر وسائره انيث (الاسكافي)

٣ — المربوع من الرماح بين القصير والطويل »

٤ — المرموانة : من اسماء الفروع »

٥ — المرهف : السيف المحدد الرقيق الحد (اللغويون)

٦ — المسفوحة من الدروع التي كانها صبت صبا »

٧ — المشرجع من طرق لا حروف فيه (الاسكافي)

٨ — المضاعفة : من الدروع التي نسجت حلقتين حلقتين »

٩ — المعاب (كمكرم) : الذي قد انكسر فشد بالعلباء »

١٠ — المهلهلة : من اسماء الدروع (اللغويون)

١١ — المهند : السيف المطبوع من حديد الهند »

١٢ — الموشحة من الدروع : التي لها حلق صغر »

١٣ — المؤمر : المحدد من الرماح وقيل المدلط »

١٤ — واغرب الاسماء التي من هذا القبيل تعي الموسى وهي آلة الحلاقة .

فقد ذهب بعضهم الى انها مشتقة من اوسى . فلو كان هـذا الادعاء صادقا لقالوا الموسي (بكسر السين وبياء منقطة في الاخر اي بصيغة الفاعل) لان معنى اوسى رأسه حلقه ، لكن الموسى هي بصيغة اسم المفعول فيكون معناه المحلوق . والحال لاتكون الالة محلوقة بل حالقة . اذ الرأس هو المحلوق . ولهذا صدق من قال ان وزن موسى فعلى لا مفعل اي ان موسى مشتقة من مادة الموس وهو الحلق فكأنك تقول الحلقى ، كانها مؤنث الاحلق وهي — وان لم توجد — إلّا انها تعني الالة التي تحلق او ذات الحلق . كما ان الصغرى مؤنث الاصغر اي ذات الصغر حين لا يكون فيها معنى التفضيل . فاذا ذهبت الى هـذا الرأي استقام بين يديك المبنى والمعنى .

فالاموي واليزيدي وابو عمرو بن العلا وابن السراج وغيرهم يذكرون اللفظة اي يشتقونها من اوسى : اما ابن السكيت والكسائي والفراء والازهري والليث ومن تبعهم فاصح نقدا واصوب نظرا لانهم ينحبون الى ان الموسى مؤنثة اي من الموس . وقد ذكروا لهذا الرأي شواهد جمة من كلام قدماء العرب . اما الذين قالوا بانها مذكرة فلم يوردوا عليها شواهد جليلة قديمة وصحيحة كما جاء معارضوهم بما يدعم رأيهم .

فنحن نتبع من يقول برأي ان الموسى من الموس فهي مؤنثة كما ان فعلى مؤنث افعل . وافعل جاء بمعنى الفاعل كقولهم : الله اعلم ، اي عالم ؛ والله اكبر ، اي كبير ؛ وهذا الرجل الاقل ، اي القليل بمعنى الفقير وفيه بقية ؛ الى غيرها مما جاء فيها افعل بمعنى فاعل . فمعنى موسى اذن الالة الحالقة لا المحلوقة اذ هذا بابه بكل علاقة ؛ ولا مزكي له في الاشتقاق ولا في المعنى .

وهناك الفاظ كثيرة عديدة . وانما اجتزأنا بما ذكرنا تنبيها للانكار لاغير ولعل خطأنا في ما ذهبنا اليه اكثر من صوابنا . وهو العذر .

﴿ الكرمل ﴾
Mont Carmel

الكرمل اسم جبل قريب من حيفا (في فلسطين) والتوراة العربية المطبوعة في مطبعة الاباء اليسوعيين تضبط اللفظة وزان حرمل اي بفتح الاول والثالث والجبل ان العرب لم تضبطه ابدا هذا الضبط والصواب بكسرهما كزبرج والذين في جوار الجبل المذكور من العرب [لا الاعاجم] لا يلفظونه إلّا بكسرهما فاحفظه .